

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم
جامعة تكريت / كلية التربية للبنات

مصالح بريطانيا في العراق

كان للعراق أهمية إستراتيجية كبيرة بالنسبة لبريطانيا ترتبط بوجودها الاستعماري في الهند، فمن أجل المحافظة على وضعها هناك، وجدت إن من الضروري حماية كل الطرق المؤدية إلى الهند والسيطرة على كل القواعد التي يمكن أن تهدد تلك الطرق^(١). ولتحقيق ذلك بذلت الدبلوماسية البريطانية كل جهودها حتى تمكنت من أن تبني لها في العراق مركزا متميزا، خاصة في جنوب العراق^(٢).

ومتلما كانت حماية الهند ضرورة لبريطانيا، فإن تنمية مصالحها الاقتصادية في ولاية البصرة كانت ضرورية أيضا. ولذلك نمت لبريطانيا في العراق مصالح تفوق أية دولة أوربية وكانت مصالح تجارية بالدرجة الأولى^(٣). لذلك كانت صادرات العراق لبريطانيا نسبة كبيرة، كما احتكرت السفن البريطانية نقل تسعة أعشار الحمولات التي مرت عبر ميناء البصرة عام ١٩٠٠^(٤).

أما المصدر الآخر لاهتمام بريطانيا بالعراق، هو توقع استغلال مخزون النفط العراقي، حيث لاحظ السفير البريطاني في استانبول العلاقة بين مشروع سكة حديد بغداد والسعي لاستغلال الحقول النفطية في العراق. كما أكد المقيم السياسي البريطاني في بغداد المستر (نيومارش) هذه الملاحظة حين تحقق من وجود المخزون النفطي على طول الطريق المقترح للسكة الحديدية، لذلك أزداد الدعم البريطاني لمحاولات (دارسي) للحصول على امتياز التنقيب عن النفط في هذه المنطقة^(٥).

ومما تجدر الإشارة إليه، إلى إن هناك شركة بريطانية كان لها دورا مهما في عمليات النشاط الاقتصادي في العراق، وهي شركة (لنج) والتي أصبح لها نشاط واسع في عمليات نقل المسافرين والبضائع بين بغداد والبصرة^(٦).

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

بالإضافة إلى العاملين الاستراتيجي والاقتصادي، كان هناك عامل ثالث جعل السلطات البريطانية تهتم بالعراق، وهو مرتبط بالأعداد الكبيرة من الرعايا الهنود الخاضعين لحكم الاحتلال البريطاني في بلادهم، والذين يفدون إلى العراق سنويا لأداء زيارة المراقدين في بغداد وسامراء والنجف وكربلاء، مما جعل الحكومة البريطانية تحرص على إنشاء شبكة من الممثلين الدبلوماسيين في البصرة وبغداد وكربلاء لمتابعة شؤون الزوار والمصالح البريطانية^(٧).

ومما لا ريب فيه إن المصالح الاقتصادية المتشابكة والمكانة السياسية التي احتلتها بريطانيا في العراق، جعلت ممثليه يهتمون اهتماما كبيرا بمتابعة ما يحدث على الساحة العراقية ويوافقون مراجعهم العليا سواء في الهند أو لندن بما يحدث. وقد ساهمت تلك التقارير في صياغة أهداف السياسة البريطانية تجاه المنطقة. ولما كانت أكثر الأحداث إثارة هي الاضطرابات القبلية، فقد استأثرت تلك الأحداث باهتمام أولئك الممثلين الدبلوماسيين خاصة إن بعض الأحداث كانت تؤثر مباشرة على المصالح البريطانية المحلية. لذلك لم يكن دورهم للمراقبة فقط، بل يحتمل أن يكون ايجابيا في توجيه تلك الأحداث وجهة معينة تخدم مصالح دولتهم أو لا تتعارض معها على اقل تقدير.

احتلال القوات البريطانية البصرة عام ١٩١٤

اعتبر البريطانيون العراق مجالا مغلقا لمصالحهم، تراقب وباستمرار ما يجري في ساحته، وقد وضعت نصب عينيها إمكانية أيلولته لها في يوم ما. وهذا ما جعل مسئولا كبيرا في وزارة الخارجية البريطانية أن يقول عام ١٩١٣ {إذا أصبح تقسيم الأملاك العثمانية في آسيا أمرا واردا فإن ما بين النهرين هو الجزء الذي يجب أن نركز أنظارنا عليه}^(٨).

وهذا يعني إن فكرة الغزو العسكري لولاية البصرة كانت تدور في أذهان بعض السياسيين البريطانيين قبل سنوات من نشوب الحرب العالمية الأولى. والدليل على ذلك إنه أثناء أزمة العقبة بين بريطانيا والدولة العثمانية عام ١٩٠٦^(٩). طرحت فكرة احتلال البصرة للضغط على الدولة العثمانية غير أنها أجلت عدة مرات حتى اندلاع نيران الحرب

العالمية الأولى، فصدر قرار السلطات المختصة البريطانية بالاستعداد لإرسال الحملة العسكرية باتجاه البصرة عن طريق البحرين^(١٠). وبعد دخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا، زحفت القوة البريطانية واحتلت (الفاو) تمهيدا لاحتلال المدينة بكاملها^(١١). ومما تجدر ملاحظته، إنه في الوقت الذي تستعد فيه بريطانيا لاحتلال البصرة، لم تكن الدولة العثمانية تعير اهتماما ما لذلك بل كانت ترسل قواتها إلى الجبهة الروسية معتقدة بإمكانها الدفاع عن البصرة بقوات من الدرك وحرس الحدود مع من ينظم إليهم من العشائر، ولهذا لم يكن في البصرة والفاو إلا قوات قليلة من القوات النظامية للدفاع عن المدينة^(١٢).

لكن كل المحاولات التي قامت بها تلك القوات لم تتفع في صد الزحف البريطاني نحو البصرة، ولذلك ما كادت تلك القوة تصطدم بالغزاة حتى تشتت بسبب معاملة الأتراك للقوات العشائرية وضعف الاستعداد للدفاع عن المدينة ومن ثم صدور الأمر بالانسحاب نحو البصرة^(١٣).

إن انسحاب القادة العثمانيين من ميدان المعركة كانت له نتائج سيئة في مدينة البصرة حيث كثرت حوادث النهب والسلب من بعض أفراد العشائر. لقد حاول الشيخ (عجمي السعدون) مواجهة الموقف وللحد من تلك الأعمال فجمع ما تبقى من تلك القوات وأنسحب بها إلى منطقة (الخميسية). وفي ١٩١٤/١٢/٢٢ دخلت القوات البريطانية مدينة البصرة ورفعت العلم البريطاني وأنهت الحكم العثماني فيها^(١٤).

وهنا لابد من التعرف على القوة الرئيسية التي كانت موجودة في البصرة، ألا وهي قوة العقيد (طالب النقيب) وأنصاره للتعرف عن موقفها من دخول القوات البريطانية إلى المدينة. فلقد كان النقيب من وجهة نظر الأوساط البريطانية شخصا سيئا^(١٥)، ورغم ذلك فإنهم اجروا معه اتصالات قبيل دخول الدولة العثمانية الحرب، وكان هدف بريطانيا من ذلك، هو إمكانية تعاونه معهم، إلا إن تلك الاتصالات لم تسفر عن نتيجة ايجابية لإصرار السيد النقيب على الحصول من الحكومة البريطانية على وعد بتعيينه (شيخا) أو (أميرا) على البصرة تحت الحماية البريطانية بعد أن يتم احتلالها من قبل القوات البريطانية. ولكن لم توافق على منحه ما أراد، بل قدمت له تعهدات منها إعفاء بساتين

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

نخيله من الضرائب، وحمائته من انتقام الأتراك، والمحافظة على الامتيازات الموروثة له ولعائلته^(١٦).

وفي الوقت الذي وصلت اتصالات السيد النقيب مع البريطانيين إلى طريق مسدود، فإنه وبنفس الوقت كان يتعرض لضغط السلطات العثمانية لدفعه للتعاون معها. ونتيجة لذلك فقد فضل مغادرة البصرة إلى (نجد) متظاهرا بالسعي لإقناع الأمير (عبد العزيز آل سعود) بالاشتراك في الحرب إلى جانب العثمانيين. وقد غضب عليه الطرفان البريطاني والعثماني عند مغادرته البصرة. ففي الوقت الذي أتهمته الثانية بمحاولة اغتيال (فريد بك) والاستعداد لتسليم البصرة للعدو البريطاني. بينما البريطانيون رفضوا عودته من (نجد) إلى البصرة من بعد احتلالهم لها^(١٧). وقد قدم عدة رسائل يرجوا فيها عودته، إلا أنها لم توافق. وأخيرا سلم نفسه إلى السلطات العثمانية التي نفته إلى الهند ولم يعد للعراق إلا يعد عام ١٩٢٠. أما أنصاره فقد تفرقوا بعد مغادرته البصرة ولم يذكر لهم دور ضد أم مع البريطانيين^(١٨).

أن سقوط البصرة في واقع الحال، كان بسبب سوء الإعداد والتخطيط الذي ارتكبه القيادة العسكرية العثمانية التي كانت تحاول تغطية ضعفها عن طريق الأوهام ومخادعة الناس^(١٩).

البريطانيون والعشائر

كانت الدولة العثمانية قبل دخولها الحرب قد اهتمت بكسب العشائر العراقية إلى جانبها ضد البريطانيين وجعلهم كقوة احتياطية يمكن استخدامها عند الضرورة. من جانب آخر أبدت السلطات البريطانية نفس الاهتمام، وفي نفس الفترة مع بعض التحفظات ومن جهات عديدة، فمثلا أوصى السفير البريطاني في استانبول حكومته في مايس عام ١٩١٤ تأجل أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى غليان عربي يهدد سيطرة الحكومة العثمانية على ولاياتها العربية. أما الأوساط الرسمية في لندن فإنها توصلت إلى قناعة بأن التعامل مع الأتراك أجدى من التعامل مع بعض الأوساط العشائرية في هذه الفترة^(٢٠).

لكن تحفظ البريطانيون إزاء فكرة الاستعانة بعشائر البصرة لم يمنعم من القيام ببذل الجهود ولكسب ود تلك العشائر وللحيلولة دون وقوفها بوجه القوات البريطانية إذا ما زحفت لاحتلال البصرة، وعليه فقد اقترح المقيم البريطاني في الخليج العربي على حكومته الموافقة على الإيعاز لأحد شيوخ منطقة (الكويت) التابعة لولاية البصرة باختيار ممثل عنه لإرساله إلى منطقة شط العرب، ويقوم هذا حال دخول الدولة العثمانية الحرب بتوجيه عشائر المنطقة وسكانها بعدم التصدي للسفن والقوات البريطانية المتجهة للبصرة بواسطة رسل يرسلهم من الفاو إلى هذه المناطق. وقد أقرت حكومة الهند ذلك الاقتراح على إن ينفذ بعد صدور التعليمات^(٢١).

بالإضافة إلى ذلك حاولت وحرصت السلطات البريطانية على تنظيم عمل استخباراتي في جنوب العراق عن طريق تجنيد عدد من العناصر العربية للقيام بالتأثير على سكان تلك المنطقة، ومن ثم جمع المعلومات التي تهم القيادة العسكرية البريطانية^(٢٢).

ومما تجدر الإشارة إليه، هو إن البريطانيين، ونتيجة لجهودهم تلك افترضوا أن العشائر في البصرة ستعلن الثورة ضد العثمانيين بمجرد احتلال القوات البريطانية البصرة ولكن لم يحدث ذلك. إلا إن الذي حدث هو إن سكان المنطقة الممتدة بين الفاو والقرنة لم يجابها القوات البريطانية بمقاومة عنيفة، كما ظل رؤوساء عشائر تلك المنطقة مواليين للدولة العثمانية، ولم يقدم إلا أحد مشايخ القرنة وشيخ الزبير وشيخ الهارثة تأييدا صريحا للغزاة. وقد علل أحد المسؤولين البريطانيين الذي عاش تلك الأحداث موقف أغلبية الشيوخ بأنه عائد لعدم تقديم البريطانيين ضمانات قاطعة لم تنفي أي احتمال بعودة الأتراك المنسحبين في المستقبل، ولذا ظلوا بعيدين عن التورط خوفا من عودة الأتراك وانتقامهم^(٢٣).

ولكن، وبالرغم من المواقف الحذرة لكلا الطرفين العشائري والبريطاني من التعاون بينهما بداية الأمر، فإن الجانب البريطاني كان يفكر من الاستفادة من تعاون القوى العشائرية بالأخص عند تطور العمليات الحربية باتجاه الشمال. كما إن العشائر عندما لاحظت احتلال البصرة بسهولة جعل بعض الشيوخ يتقبل فكرة الاتصال والتعاون

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

معهم^(٢٤). وتذكر بعض المصادر إن الشيخ (عجمي السعدون) بادر بذلك الاتصال عن طريق وسيط وقابل السيد (برسي كوكس). وقد أبدى استعداده للتعاون ضد الأتراك وتسليم البريطانيين عدد كبير من البنادق التركية كانت بحوزة الشيخ (عجمي السعدون)^(٢٥). إن مبادرة الشيخ (عجمي) كانت دافع مشجع للبريطانيين للاستفادة من القوى العشائرية المحلية لمحاربة القوات العثمانية بعد احتلال البصرة وتحرك القوات البريطانية نحو بغداد. وعليه فقد قام رجل الاستخبارات البريطانية (لورنس) برحلته إلى البصرة وبدأ هناك اتصالات مع رؤساء المشايخ في المدينة^(٢٦)، ولكن بعض المصادر تذكر إن تلك المرحلة لم تكن نتائجها ملموسة، والسبب في ذلك - كما يبدو - هو رفض حكومة الهند البريطانية تقدم أي تعهد صريح للعرب مقابل تحركهم الذي كان تنتشده بريطانيا من العشائر^(٢٧)، ولهذا يمكن القول، ذلك كان أحد العوامل التي ساعدت السلطات العثمانية التي بذلت الجهود لكسب ود بعض العشائر.

جهود العثمانيين

استمرت السلطات العثمانية في حشد العشائر لمساعدتها في طرد الغزاة من البصرة وما جاورها من المناطق، وللتأثير على تلك العشائر لجأت إلى رجال الدين لإصدار الفتاوي. ومن المعروف أن لرجال الدين تأثير كبير على رجال العشائر^(٢٨). ومما يذكر، إن جهود العثمانيين تلك كانت قد بدأت قبل دخولهم الحرب واستغرقت وقتاً طويلاً، ولم تصدر الفتاوى التي تدعو للجهاد إلا في بداية عام ١٩١٥^(٢٩). يضاف إلى هذا استجابة علماء الدين لم تكن بدرجة واحدة من الحماس، إلا إن معظمهم استجابوا لمطالب السلطات العثمانية، بل إن البعض اظهر حماساً كبيراً، فلم يكتفوا بإصدار الفتاوى، إنما قاموا بأنفسهم يحثون العشائر على الاشتراك بالحرب ضد الغزاة. وهناك من قاد واستجاب من العشائر وسار بها نحو جبهات القتال^(٣٠). الواقع إن تلبية دعوة الجهاد ضد البريطانيين يمكن القول عنها، إنها مرت بمرحلتين الأولى كانت قبل صدور الفتاوى من العلماء فكانت قليلة التأثير واستجابة العشائر لها ضعيفة. أما بعد صدور الفتاوى رسمياً وهي المرحلة الثانية، كانت الاستجابة

واسعة النطاق خبيت آمال البريطانيين^(٣١). ومن الملاحظ إن هناك آراء عديدة قيلت حول استجابة وعدم استجابة العشائر لدعوة الجهاد لا مجال لذكرها هنا. وعليه، ومهما قيل عن موقف العشائر فأن السلطات العثمانية استغلت الشعور الديني لدى أفراد تلك العشائر ونجحت في إقناعهم بعدم الالتفات لندوات وبيانات القوات المسؤولين البريطانيين التي كانت تدعوهم على الأقل الوقف على الحياد^(٣٢). ومما تجدر الإشارة إليه، هو إن البريطانيين كانوا يرصدون تطورات دعوة الجهاد، ويبدو إنهم حاولوا إحباط همم شيوخ القبائل، ولذلك أصدروا رسالة تحذير لأولئك الشيوخ وصفوهم فيها بأنهم حكماء العرب ولا يعقل أن يستجيبوا لذلك الخداع الذي يمكن أن يكون أفراد قبائلهم عرضة له. كما ورد في مضمون الرسالة إن البريطانيين دخلوا الحرب مكرهين نتيجة لمؤثرات الألمان وتحريضاتهم للترك على ارتكاب الأعمال العدوانية ضدهم. ولذلك فأن الحرب بين البريطانيين والترك، وليس بين البريطانيين والعرب أي صراع، كما إنهم لا ينوون الإساءة لدين العرب الذين عليهم بالمقابل أن يلزموا جانب الحياد في هذه الحرب^(٣٣).

والملاحظ، إنه لم يكن لتلك الرسالة تأثير كبير، لذلك أصدر السيد (برسي كوكس) بيانا أشد لهجة أوضح فيه نوايا بريطانيا الطيبة تجاه العرب ورجباتهم في تحريرهم من الظلم التركي وأشار أيضا إلى إن بعض الأشخاص قد خدعوا فانظموا إلى أعداء بريطانيا وحملوا السلاح بوجه قواتها. وأضاف إن هذا البيان هو من أجل إنذار كل الشيوخ والقبائل في البصرة والقرنة والعمارة والمنفق، بأنه في حالة إبعادهم عن طريق الصداقة والحياد وحملهم السلاح للتعاون مع العدو، فأن أملاكهم الواقعة ضمن المنطقة الخاضعة للسيطرة البريطانية سوف تعتبر مصادرة للحكومة البريطانية^(٣٤). وفعلا طبقت السلطات البريطانية المحتلة إجراءات الحجز والمصادرة على أملاك بعض رؤساء تلك القبائل^(٣٥). ويبدو إن التحذيرات البريطانية لم تؤثر على العشائر التي أبدت معظمها استعداد للمشاركة في القتال إلى الجانب العثماني باعتبارهم حماة الإسلام والمدافعين عنه ضد الغزاة، فحين بدأت المناوشات بين الجانبين العثماني والبريطاني كانت خطط القيادة العسكريين العثمانيين معتمدة بشكل كبير على مساعدة قوات العشائر^(٣٦). فالقائد سليمان

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

العسكري ركز جهوده على عشائر الفرات وشن بها مع بعض قواته هجوم كبيراً على موقع النخيلة على ضفة الهور، كما شنت الغارات على خطوط المواصلات التي تربط موقع الشعبية بالبصرة^(٣٧). وقد أشاد بعض الكتاب بالدور البطولي الذي أبداه رجال العشائر خلال القتال^(٣٨).

ومن الطبيعي أن لا تكون مشاركة مشايخ العشائر بنفس الدرجة من الحماس والإخلاص، فهناك من الرؤساء من كان يتقد حماساً كالشيخ (عجمي السعدون) الذي غداً اسمه مضرب الأمثال في الشجاعة والبطولة التي أبداه، وخاصة في شن هجماته مع أفراد عشيرته على موقع الشعبية الذي تحصن البريطانيون به فترة من الزمن^(٣٩).

لكن الحقيقة إن تلك البطولات التي أظهرها بعض المشايخ لم تغير من النتيجة المؤلمة التي انتهت إليها معركة الشعبية، وهي هزيمة القوات العثمانية والعشائر المساندة لها^(٤٠). وكما حدث في الشعبية، فأناً القرنه كانت مسرحاً لإحداث مشابهة، فبعد انسحاب القوات العثمانية من البصرة قبل دخول البريطانيين لها، اتجهت نحو القرنه وحصنت بها مع من أنضم إليها من العشائر، لكن هذه القوات لم تكن كافية لصد الهجوم الذي قامت به القوات البريطانية والذي تمكنت من احتلال المدينة وأسر بعض القوات العثمانية^(٤١)، وهذه الضربة الثانية القوية للعثمانيين في جنوب العراق.

ويبدو إن هزيمة العثمانيين والعشائر لم تكن تعني توقف القتال بين الطرفين، بل استمرت هجمات القوات العثمانية والعشائرية ضد القوات البريطانية في تلك المواقع، إذ شنت ضدهم عدة هجمات تكبد فيها البريطانيون الكثير من الخسائر^(٤٢).

غير إن كل تلك الهجمات لم يقدر لها في النهاية أن تحقق هدفها في طرد البريطانيين عن مناطق القرنه أو الشعبية، بل العكس من ذلك فقد تعرضت القوات العثمانية والعشائرية إلى عدة هزائم في تلك المواقع حتى إنها تراجعت إلى مناطق بعيدة عن ساحة القتال، وتفرقت القوة العشائرية عن القوة النظامية العثمانية خوفاً من انتقام البريطانيين^(٤٣).

من هنا نستنتج إن حركة الجهاد والفتاوي التي أصدرها رجال الدين كان لها أثرها في جانب واحد مهم هو إن العثمانيين استطاعوا بواسطتها من استقطاب أعداداً من

المجاهدين من رجال العشائر ودفعهم إلى مواقع القتال وابدؤوا الاستعداد للموت في سبيل الدين والوطن، ولو إن الفشل يعزى - كما اعتقد - إلى القيادة العسكرية العثمانية التي لم توفر لهم متطلبات القتال.

أما نجاح القوات البريطانية التي حققت الانتصارات فيعود إلى الخدمة الاستخبارية المتقدمة التي كان يرأسها الكابتن (لجمان) والذي تمكن من معرفة تحركات القوات العثمانية والعشائرية^(٤٤). يضاف إلى هذا استفاد البريطانيون من خلافات بعض العشائر والتي كانت تعمل كمراقب لحركات بعضها البعض الآخر^(٤٥)، وهذا دليل على إن الخصومات العشائرية هي أقوى من القضايا الدينية والوطنية في ذلك الوقت.

إن فشل القوات العثمانية والعشائرية في صد هجمات القوات البريطانية، أدى بنفس الوقت إلى إثارة روح العداة الكامن بين العثمانيين ورؤساء العشائر، فالأترك رغم مواقف العشائر من القتال ما زالوا يكونون روح الحقد والكراهية للعنصر العربي وكل ما هو غير تركي ليس بالمشاعر فقط، بل حتى في الممارسات العملية^(٤٦). كما كان يحدث عندما تمر القوات العثمانية من أية منطقة عشائرية يقوم الجنود والضباط الأترك بإساءة معاملة تلك العشائر مما كان يؤدي إلى ثورة العشائر على تلك التصرفات^(٤٧).

ورغم كل هذا ن فقد بقيت بعض العشائر مساندة للقوات العثمانية فبعد انسحابها من مناطق البصرة والقرنة والشعيبة وتراجعها إلى الورا انسحبت معها قوات تلك العشائر وتمركزت في مدينتي الناصرية والعمارة^(٤٨)، كي تكون خطاً دفاعياً لصد القوات البريطانية المتقدمة من البصرة باتجاه بغداد شمالاً.

تجمع القبائل وتحركات القوات البريطانية

أملت الضرورات الإستراتيجية على القيادة البريطانية في البصرة اتخاذ قرار باحتلال مدينة الناصرية التي تجمعت بها القبائل المنسحبة من ساحة المعركة وذلك للقضاء على أية إمكانية أمام القوات العثمانية التي تفكر بتهديد البصرة من جديد

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

يضاف إلى هذا فإن القيادة البريطانية اعتقدت إن احتلال مدينة الناصرية سوف يجعل تجمع القبائل يميل إلى الهدوء، وهذا بدوره يقضي على أية محاولة للتعاون بين القبائل والقوات العثمانية. وعليه فقد تقرر إرسال القوات البريطانية من القرنة إلى الناصرية^(٤٩).

ومما يذكر إن المعلومات المتجمعة لدى القيادة البريطانية تشير إلى أنه من المحتمل أن تلقى قواتها مقاومة عنيفة من تجمع القبائل أكثر مما يمكن أن تلقاه من مقاومة القوات العثمانية النظامية. وفعلا لاقبت ذلك، خاصة من القبائل التي كانت تحتل معظم البساتين على الطريق المارة به تلك القوات حتى إن القبائل كانت تحتل معظم بساتين النخيل التي أعاققت تقدم القوات البريطانية. ولقد حاولت الأخيرة إقناع القبائل بالانسحاب من تلك المناطق ليفسحوا المجال أمامهم للصدام مع القوات العثمانية التي كانت تحتشد خلف القبائل^(٥٠).

لقد صمدت القوات العثمانية والقوة القبلية أمام الهجمات البريطانية لفترة ليست بالقصيرة، إلا أن الأخيرة قامت بعملية التقاف من بعض القرى حول الخطوط العثمانية مما أجبرها على الانسحاب من مناطقها التي كانت متمركزة بها فاحتلتها البريطانيون^(٥١). إن نجاح القوات البريطانية هذا قد زاد من قلقها من تهديد تجمع القبائل على الخطوط الخلفية، خاصة وإن هذه القبائل خرجت من العمليات الحربية بالمزيد من البنادق والذخيرة التي كان يتركها الجيش العثماني وراءه خلال المعارك. وكان هذا ممكن أن يساعد القوات العثمانية في تطويق القوات البريطانية لو استطاع الأتراك الحصول على مساعدة فعالة من تسلل القبائل^(٥٢). وكان هذا رأي أحد المسؤولين البريطانيين المشاركين بالزحف على الناصرية.

وفعلا، فقد تمكن الأتراك من الحصول على دعم تلك القبائل، وقامت بعدة غارات على خطوط المواصلات البريطانية. وهذه الأعمال كان من الطبيعي أن تثير حقد البريطانيين ضد أولئك الرجال المقاتلين من القبائل، لذلك فقد كان البريطانيون يصبون جام غضبهم على من يقع بأيديهم من رجال القبائل المسلحين المقاتلين. وهذه الأعمال

أثرت على موقف معظم الناس من القوات البريطانية المحتلة، حيث امتنعوا حتى العمال البسطاء عن تقديم أية خدمات لهم خلال زحفهم على الناصرية^(٥٣).

ومن الملاحظ، إنه رغم المقاومة التي واجهها البريطانيون من تلك القبائل، فإنهم استمروا بالزحف باتجاه الخطوط الدفاعية التي أقامها العثمانيون جنوب الناصرية، ومع تفوق المهاجمين في التسليح فقد استعصت عليهم ولم يستطيعوا اختراقها رغم تكرار الهجمات مما اضطرهم القيام بحركة التفاف خلف الخطوط العثمانية التي اضطرت قواتها إلى الانسحاب إلى الكوت مما فسح المجال أمام القوات البريطانية للدخول إلى مدينة الناصرية^(٥٤).

ومما يذكر إنه أثناء المناوشات التي كانت تدور بين الطرفين أمرت القيادة العثمانية الشيخ (عجمي السعدون) المساند القوي لهم بالانسحاب إلى خارج الناصرية وأوكلت إليه مهمة السيطرة على الطرق الصحراوية بين الشعبية والزابير لشن الهجمات على خطوط القوات البريطانية الممتدة عبر (هور الحمار) وصد الهجمات التي قد تقوم بها الأخيرة^(٥٥).

إن نشاط (عجمي السعدون) هذا، جعل البريطانيين يفكرون في استخدام وسيلة للتخلص من خطره فاستطاعوا من إغراء أخيه الأكبر وأحد أبناء عمه بالتعاون معهم ضده. لكن هذه الطريقة فشلت في تحقيق هدفهم، ثم لجأوا إلى وسيلة أخرى لإضعافه، وهي تأجيج الصراعات القديمة التي كانت سائدة قبل الحرب بينه وبين بعض العشائر حيث قاموا بتسليحهم للوقوف ضده^(٥٦).

إن تمركز القوات البريطانية في الناصرية لا يعني المقاومة القبلية قد انتهت، بل العكس من ذلك فإن الحامية البريطانية في الناصرية أصبحت شبه محاصرة ولا تتعدى سيطرتها حدود المدينة والأراضي المجاورة لها مباشرة، كما أصبح تأمين خطوط مواصلاتها النهرية مع البصرة يشغل القيادة البريطانية^(٥٧). في الوقت الذي كانت فيه القبائل تحيط بالمدينة لشن الغارات بين الحين والآخر على مواقع القوات البريطانية المتقدمة^(٥٨).

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

إن موقف تلك القبائل كان يضطر القوات البريطانية الرد بأسلوب مشابه، هو الخروج في حملات سريعة لمعاقبة عشيرة ما في المناطق المجاورة للمدينة ثم العودة ثانية إلى مواقعها. وترى (المس بيل) إن الأموال التركية والألمانية كانت السبب وراء حالة العداء بين بعض القبائل العراقية والقوات البريطانية، وإن الذي ساعد تلك الحال وجود القوات العثمانية على مقربة من مدينة الناصرية^(٥٩).

أما في مدينة العمارة، فأن الوضع العام يختلف كثيراً، فقد دخلت القوات البريطانية المدينة دون مقاومة تذكر من قبل القبائل المقيمة على ضفتي نهر دجلة، حيث تذكر المعلومات أن أبرز شيوخ القبائل كانا قد انسحبا من المدينة وأخذوا يكتابان الضابط السياسي السيد (برسي كوكس)^(٦٠). وعليه فقد وجدت القوات البريطانية تعاطفاً مع بعض القبائل هناك، كما قدم بعض أبناء القبائل خدمات للقوات البريطانية لقاء ما كانت تمنحهم من مكافآت مالية^(٦١)، بمقابل هؤلاء كانت هناك مجموعة من أفراد القبائل موقفها عكس ذلك، فقد كانت تشن على القوات البريطانية، وخاصة في المناطق المنعزلة هجمات على المعسكرات والوحدات البريطانية بقصد النهب والحصول على الغنائم خاصة الأسلحة والذخيرة، مما اضطر القيادة البريطانية إلى تخصيص لواء من الفرسان مهمته حراسة طرق المواصلات خاصة البرية منها^(٦٢).

يتضح مما سبق ذكره من مواقف متباينة من قبل القبائل العراقية تجاه كل من السلطات العثمانية وقواتها ومن القيادة البريطانية فمثلاً عندما سمعت القبائل المحيطة بمدينة الشطرة عن سقوط البصرة بيد القوات البريطانية، هبت تلك القبائل لمحاصرة القوة العثمانية الموجودة في المدينة ثأراً لما كان يجري من وقائع بين الطرفين العثماني والقبلي^(٦٣). أما عندما حاولت القوات البريطانية إرسال نجدات من الناصرية لفك الحصار عن قواتها في الكوت، فأن عشائر المنطقة تجمعت واشتبكت مع تلك النجدة، مما اضطر تلك القوة على التوقف للوصول إلى الهدف^(٦٤).

والملاحظ هنا، إن أسباب تلك المواقف يعود إلى مستوى الوعي للفرد والذي يحل فيه مصلحة رئيس القبيلة والقبيلة ككل على ما عداها من مصالح، وهذا يجعل ذلك السلوك ينسجم مع متطلبات التغيير في مواقف الرؤساء من ذلك.

هوامش البحث

- 1- Cohen. S, British policy in Mesopotamia 1907-1914.London 1976. p3
- 2- Longrigg. H. S , Iraq 1900-1950 , Beirut 1968. p3
- ٣- لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج٣، ترجمة ديوان حاكم قطر، الدوحة، بدون تاريخ، ص١٣٥٦
- 4- Hasan. M. S , The Role of Foreign Trade in The Economic Development of Iraq 1864-1964. London 1970. p4
- 5- Avery. p , Modern Iraq. London 1965. p181
- ٦- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال إلى الاستقلال، بغداد ١٩٦٧، ص٥١
- ٧- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، ج٢، القاهرة ١٩٨٠، ص٧٩٤
- 8- Cohen. OP. Cit. p238
- ٩- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت ١٩٨٠، ص٣٧٤
- 10- Cohen. OP. Cit. p52
- ١١- عبد الرحمن البزاز، المصدر السابق، ص٦٧
- ١٢- محمد أمين العمري، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨، ج١، بغداد ١٩٣٥، ص٨
- 13- Russell. , The siege. London 1969. p23
- ١٤- عبد القادر باشا أعيان، البصرة في أدوارها التاريخية، بغداد ١٩٦١، ص٦٩
- ١٥- محمد شبيب، أسرار عراقية في وثائق إنكليزية وعربية وألمانية ١٩١٨-١٩٤١، بغداد ١٩٧٧، ص٣٩
- ١٦- سليمان فيضي، في غمرة النضال، بغداد ١٩٥٢، ص١٨٨، ص١٩٠
- 17- Wilson, A. T, Loyalties Masopotamia 1914-1917, New York 1969 , p18
- ١٨- محمود شبيب، أسرار عراقية، ص٣٩

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

-
- ١٩- محمود شبيب، جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٢١، بغداد ١٩٧٧، ص ٩
- ٢٠- عبد العزيز عبد الغني، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض ١٤٠١هـ، ص ٢٣٤
- 21- IOR , 1/p + S / 10 / 462. NO 7015. The sec to The Gove of India to the P.R sep. 6. 1914
- 22- IOR. R./ 15/5/25 NO 4d Foreign. Delhi to P.R. Bushir. NOV.2. 1914
- 23- OP. Cit. p20 Wilson , A. T
- ٢٤- جيرترودبيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، بيروت ١٩٧١، ص ١١
- 25- Wilson. A.T. OP. Cit. p16
- ٢٦- سليمان فيضي، المصدر السابق، ص ١٩٩
- ٢٧- وميض نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، بغداد بدون تاريخ، ص ٥٤
- ٢٨- عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد ١٩٧٥، ص ١١٤
- 29- Wilson. A.T. OP. Cit. p22
- ٣٠- حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، بغداد ١٩٧٥، ص ٩٠
- ٣١- الزوراء، سنة ٤٧، العدد ٢٤٩٣ في ٢٢ محرم سنة ١٣٣٣هـ
- 32- Wilson. OP. Cit. p50
- 33- Barker , A. J. The Neglected War , Mesopotamia 1914-1918. London 1967. P70
- 34- Wilson. OP. Cit. p312
- ٣٥- الأوقات، السنة ٣ المجلد التاسع العدد ٤ في ٢٥ آب ١٩١٧
- ٣٦- الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٤٩٥، في ٧ صفر سنة ١٣٣٣هـ
- ٣٧- شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد ١٩٧٤، ص ٣١
- ٣٨- عبد الله فياض، المصدر السابق، ص ١٥٦
- شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص ٣٣

- ٣٩- عبد الله فياض، نفس المصدر، ص ١٥٦
شكري محمود نديم، نفس المصدر، ص ٣١
- 40- Wilson. OP. Cit. p23
- ٤١- حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٩٢
- ٤٢- الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٥٠٠، في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ
- 43- Wilson. OP. Cit. p35
- 44- Wilson. Ibid. p29
- ٤٥- عبد الله فياض، المصدر السابق، ص ١٥٤
- 46- Wilson. OP. Cit. p72
- ٤٧- حسن الأسدي، المصدر السابق، ص ٩٢
- 48- Dickson , The Arab of Desert. London 1959. P545
- 49- Barker. OP. Cit. p p 90-91
- 50- Wilson. OP. Cit. p54
- ٥١- الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٥٢٣ في ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٣هـ
- 52- Wilson. OP. Cit. p23
- 53- Barker. OP. Cit. p 91
- 54- Wilson. OP. Cit. p p 60-61
- ٥٥- الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٥٢٥ في ١٥ رمضان سنة ١٣٣٣هـ
- ٥٦- شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص ٢٢٦
- 57- Wilson. OP. Cit. p79
- ٥٨- الزوراء، السنة ٤٧، العدد ٢٥٣٣ في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ
- ٥٩- بيل، المصدر السابق، ص ٧٧
- ٦٠- بيل، نفس المصدر، ص ١٦
- ٦١- طاووزند، محاربتني في العراق، ترجمة عبد المسيح وزير، بغداد ١٩٢٣، ص ٦٢
- ٦٢- عبد الله فياض، المصدر السابق، ص ١٦٤
- ٦٣- بيل، المصدر السابق، ص ٧٧
- ٦٤- شكري محمود نديم، المصدر السابق، ص ٢١٢

موقف عشائر البصرة من الاحتلال البريطاني للعراق عام ١٩١٤

د. عبد ربه سكران إبراهيم

المصادر والمراجع

المصادر العربية

- ١- الأوقات، السنة ٣، المجلد ٩، العدد ٤، في ٢٥ آب ١٩١٧
- ٢- جيرترودبيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، بيروت ١٩٧١
- ٣- حسن الأسدي، ثورة النجف على الإنكليز، بغداد ١٩٧٥
- ٤- الزوراء، سنة ٤٧، العدد ٢٤٩٣، في ٢٢ محرم سنة ١٣٣٣هـ
- ٥- الزوراء، سنة ٤٧، العدد ٢٤٩٥، في ٧ صفر سنة ١٣٣٣هـ
- ٦- الزوراء، سنة ٤٧، العدد ٢٥٠٠، في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٣٣هـ
- ٧- الزوراء، سنة ٤٧، العدد ٢٥٢٣، في ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٣هـ
- ٨- الزوراء، سنة ٤٧، العدد ٢٥٢٥، في ١٥ رمضان سنة ١٣٣٣هـ
- ٩- الزوراء، سنة ٤٧، العدد ٢٥٣٣، في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٣٣هـ
- ١٠- سليمان فيضي، في غمرة النضال، بغداد ١٩٥٢
- ١١- شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، بغداد ١٩٧٤
- ١٢- طاوزند، محاربتني في العراق، ترجمة عبد المسيح وزير، بغداد ١٩٢٣
- ١٣- عبد الرحمن البزاز، العراق من الاحتلال إلى الاستقلال، بغداد ١٩٦٧
- ١٤- عبد القادر باش أعيان، البصرة في أدوارها التاريخية، بغداد ١٩٦١
- ١٥- عبد الله فياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، بغداد ١٩٧٥
- ١٦- عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية، ج ٢، القاهرة ١٩٨٢
- ١٧- عبد العزيز عبد الغني، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض ١٤٠١هـ
- ١٨- عمر عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، بيروت ١٩٨٠
- ١٩- لوريمر، دليل الخليج العربي، القسم الجغرافي، ج ٣، ترجمة ديوان حاكم قطر، الدوحة، بدون تاريخ

- ٢٠- محمد أمين العمري، تاريخ حرب العراق خلال الحرب العظمى ١٩١٤-١٩١٨، ج١، بغداد ١٩٣٥
- ٢١- محمود شبيب، جوانب مثيرة من تاريخ العراق المعاصر ١٩١٤-١٩٢١، بغداد ١٩٧٧
- ٢٢- محمود شبيب، أسرار عراقية في وثائق إنكليزية وعربية وألمانية ١٩١٨-١٩٤١، بغداد ١٩٧٧
- ٢٣- وميض نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، بغداد، بدون تاريخ

ب/ المصادر الأجنبية

- 1- Avery. p. Modern Irean , London 1965
- 2- Barker. A. J. The Neglected Mesopotamia 1914-1913 , London 1967
- 3- Cohen. S. British Policy in Mesopotamia 1907-1914. London 1967
- 4- Dickson. The Arab Desert. London 1959
- 5- Hasan. M. S. The Role of Foreign Trade in The Economic Development of Iraq 1864-1946. London 1970
- 6- Longrigg. S. Iraq 1900-1950. Beirut 1986
- 7- Russll. B. The siege. London 1969
- 8- Wilson. A. T Loyalties Mesopotamia 1914-1917. New York 1969

الوثائق البريطانية غير المنشورة

- 1- IOR , L /p + S / 10 / 462. NO 7015. The sec to The Gove of India to the P.R sep. 6. 1914
- 2- IOR. R. /15/5/25 NO 4d Foreign. Delhi to P.R. Bushire NOV. 2. 1914.